ايامه ولا برحت العدالة تتأيد فيها بتأيد احكامه ودامت لها ايامه السعيدة تسعد بها الاحوال وتنشده بالسنتها مثل هذه الاقوال

يزهو بعود ركابك القطر ... وبمثلهِ يستنزل القطرُ
انت البلاد وانت رونقها ... وجمالها والقلب والصدرُ
ان كنت قد اوحشت مصر فقد ... آنستها واستبشرت مصرُ
تستقبل العباس باسمةً ... لاقا علاه وثغرها الثغرُ
قد كنت مثل البدر منتقلاً ... بسماء مجدٍ تحتها البدرُ
ان سرت في ارضٍ فانت بها ... طود وفوق بحارها بحرُ
حسب الرعية ان تراك فقد ... عاد الصفا مذ عدت والبشرُ
طالت لك الايام محتكماً ... فيها وطال بعمرك الدهر

تحرير المرأة

لم تبق في هذا القطر وسواه جريدة من الجرائد العربية الا وقد بحثت بحثاً طويلاً في معنى كتاب تحرير المرأة الشهير الذي وضعه حضرة الكاتب الفاضل قاسم بك امين مما اكد لنا ان الكتاب على حداثة عهده وقرب انتشاره قد نال منالاً بعيداً من الشهرة وامتداد الذكر وكثرة الاهتمام والاعتناء بحيث كان الكتاب الوحيد الذي تفرغ له الكتاب كل هذا التفرغ واوسعوه ما شاءوا من الانتقاد والبحث

ولا غرو ان يكون للكتاب ما وصفنا من الاهتمام والعناية فان القصد منه جليل جداً الا وهو تحرير المرأة الشرقية والانتقال بها من حال الى حال قد تتبدل بها المعيشة الشرقية تبدلاً كثيراً يظنه البعض خروجاً عن الاعتدال وابتعاداً عن مواطن الحكمة والصواب ويراه البعض منطبقاً على الحال الحاضرة لازماً للمدنية الجديدة

ولا يخفى ان الجدال في مثل هذه المباحث لا يتبين الصواب فيه من طريق الحجة والبرهان بل لا بد له من التجربة الحسية لان العيان الجلي يبدل الظن وينتقل بالمراد الا ان ذلك لما لم يكن بالامكان الان او هو لم يكن شيء منه من قبل فنجعل القياس عليه دليلاً على الصواب ونقيضه كان لا بد لنا من القياس على حالة سوانا فيبدو لنا بعض الحق الذي يصح ان يكون دليلاً على الكل

فلقد انكروا على حضرة الفاضل صاحب ذلك الكتاب اباحته حرية المرأة وكشف قناعها بدعوى انها تصبح بذلك خليعة متهتكة كالمرأة الاوربية وهي دعوى من يعتبر الكل كالبعض او يأخذ البريء بجريرة السقيم فان المرأة الاوربية بعمومها ليست خليعة في الحد الذي يعتقدها به ابن المشرق بل لا يصح ان يعتبر ما لها من الحرية والانطلاق بمثابة خلاعة او نقيصة لان الامور تعتبر بنتائجها وبواطنها وليس بمقدماتها وظواهرها والا فان المرأة الاوروبية على زعمهم تكون من اسفل ما خلق الله طبعاً وسجية مع ان ذلك ليس صحيحاً بالاطلاق بل المرأة الاوربية هي الان عنوان الفضيلة ومثال المدنية الحقة بل هي التي ترينا الان افضل رجال الحكمة والعقل واجل ارباب اليد واللسان الذين لولاهم ولولا ما اسعفونا به من صناعة وعلم

لما كنا نفرق عن الزنوج بشيء فاذا كان كل هذا نتيجة الخلاعة والنقص اذن فاتباع النقص قد كان احزما

ثم لا يخفى الجميع ان حالات الانسان في معيشته تلازم العدل والانصاف دائماً فهو لا يكون قد نقص في شيء الا ليزداد في سواه كما تزداد الحيلة في الفقير والحس في الاعمى فاذا كانت المرأة الاوربية قد نقصت في اعتبارنا من حيث بعض الاداب العرضية فقد كملت كثيراً من حيث جواهر الحالات وحقائقها التي تؤدي الى سعادة الحياة وان ما نجده الان من زخرف اوربا ورونقها وما تم فيها من مدنية وحسن معيشة على كثرة اهلها وضيقها بهم انما كان اكثره بل كله من صنع المرأة او حاصلاً بسببها بل انت لو اعتبرت كل ما في الدنيا من محاسن المصنوعات لوجدته جميعه كان بسبب المرأة التي لولا انها ترى الحسن وتثني عليه وتغري الرجل بصنعه لما كان منه شيء بالاطلاق وانظر الى اي مكان لا يزوره النساء ويكن فيه تجده عطلاً من كل زخرف خالياً من كل رونق وهذا مما لا ينكره احد اذ الدلائل عليه تملأ ابصارنا في كل مكان

ثم نحن ما لنا وللبرهان من هذا القبيل فان المرأة هي نصف الدنيا بتمامها وهي والرجل سيان في هذه الحياة يسيران فيها جنباً الى جنب ولكليهما من احكام الطبع والوضع ما لا سبيل الى زيادته ونقصانه وهذا الرجل ينطلق في حياته كما يشاء ولا قوة توقفه في سبيله الا الموت ولكننا مع كل ذلك ما رأينا الرجل بعمومه قد تعدى حد الاعتدال في معيشته وتصرفه الى حد النقيصة والرذيلة وهو اذا لم يكن له في سيرته رادع من طبع وخلق كان له ذلك من عادة واحكام وما سمعنا ان الرجل في دهر من الدهور تمادت به حريته

واغواه انطلاقه الى حد انه افسد المجتمع الانساني او اخل بنظام المعيشة البشرية سواء كان من الجهة الادبية والمادية وهذه حال اوربا الان فانها على كثرة ما فيها مما نعتبره نحن انه من النقائص والعيوب لا تزال ترقى في ارفع سلم من الحضارة وحسن المعيشة ولا عبرة بما ننشره عن بعض نقائصها فانه لدى الحقيقة قطرة من بحر والكمال لله وحده

ثم نحن ما لنا ولهذا ايضاً فان لدينا عشرات الوف من نسائنا الفقيرات الوطنيات وكلهن يخرجن في الاسواق حاسرات يبعن ويشترين ويعاشرن الرجال فهل يصح لنا ان نصف هذا الجمهور الكثيف بالخلاعة والنقص مع ان معظمهن متزوجات وهن يربين اولادهن وقد اكسبتهن حرية الفقر والانطلاق ما لا تعرفه النساء الغنيات المتحجبات وراء الاستار كما ان طول العشرة والاختلاط قد علم اكثرهن الصيانة بما يشاهدنه من مضار الابتذال

فماذا يقول المعارضون في هذه العشرات الالوف ألسن من نساء الشرق واولادهن وازواجهن من رجال الوطن ثم هل ترتب على انطلاقهن هذا غير ما يترتب على كل حالة يألفها الانسان حتى تصير فيه خلقاً وطبعاً ثم يسن لها من نفسه شرائع وقوانين تقيه ما يكون فيها من ضرر

ولقد كان المسيحيات في الشرق الاسلامي من سنوات معدودة يحتجبن ويلزمن منازلهن الا عند الضرورة كالمسلمات تماماً فاخذن يقلعن عن هذه العادة بالتدريج حتى صرن يخرجن حاسرات ويحادثن الرجال ثم ما ترتب على ذلك شيء من المضار ولا تزال حالتهن هي هي من حيث الاداب واذا قيل انهن قد خرجن شيئاً الى ما ندعي انه خروج من حدودهن المرسومة فلقد دخلن في حياة جديدة من المدنية الحقيقية ومعونة الرجل فاذا خسرن شيئاً

موهوماً فقد كسبن اشياء موجودة محسوسة اذ ليس في الدنيا شيء يذهب مجاناً ثم ان حالتهن هذه قد تقيدت ايضاً بقيود معلومة بحيث اصبح الخروج منها فجأة معدوداً عيبه كالخروج فجأة من الاحتجاب الى الظهور . لذلك لا يتوهمن الرجل ان المرأة اذا انطلقت فانها تنطلق الى ابعد ما يريد

بقي ان ظهور المرأة المسلمة الشرقية في ميدان الحياة ومشاركتها للرجل في ادبياته وماديات ليس فيه شيء يضر المجتمع الاسلامي بالاطلاق اذا تم بالتدريج فان الطبيعة نفسها تسن لهذه الحالة من القوانين مثل هذه القوانين المسنونة الان بالاحتجاب ولكن على فرق كثير يكون من جهة النفع ولدينا من المسيحيات اجل عبرة فان من يصف مجموعهن بغير الصيانة المقبولة في مثل هذا العصر المطلق فقد ظلمهن كثيراً ولم يكن شأنه شأن المؤرخ الصادق لان العالم المسيحي الان يعد اقوى واغنى عالم في هذه الارض كلها فاذا لم يكن نصف هذا العالم وهو المرأة على جانب عظيم من الاداب النافعة لكان من المستحيل البعيد ان تكون هذه القوة وهذا العدد العديد لان هذه المدنية الحاضرة كالجسم النامي لا يصح ان يكون نصفه حياً ونصفه ميتاً بل هو كله حياة وكله نفع والمرأة صالحة فيه بالاجمال

ولقد يقول البعض ان للافرنج ديناً ولنا دين ولهم اخلاق ولنا اخلاق ونعم ان ذلك لكما يقولون ولكننا نعلم اننا قلدنا الافرنج كثيراً فيما هو ليس من عاداتنا فنجحنا فلقد تعلمنا لغاتهم فنجحنا وجرينا على طرق تدريسهم فنجحنا وبنينا منازلنا على نسقهم فنجحنا حتى لقد قلدناهم في شرب الخمر المحرمة (فنجحنا) فماذا يجري لو قلدت مرأتنا مرأتهم فتنجح نجاحها ام نحن نكتفي من مجد الدنيا بان نساءنا مصونات وراء الاستار ونفتخر

بجهل الواحدة من بعضهن اذ تخرج ليلاً فتظن السماء سقفاً مرصعاً بالمصابيح والانوار

الا اننا مع اعتقادنا بنفع ما نسوق بني الشرق اليه فاننا في وجل من نجاحه ولو كان بالتدريج الذي ذكرناه واعتبرناه اجل واسطة وذلك لا لشيء الا للطلاق وحده فان المرأة المسيحية مهما جالست الرجال وظهرت بينهم فان في قلبها اعتقاداً راسخاً شديداً بانه ليس لها غير زوجها وانها لا يمكن ان تكون حليلة سواه ولذلك ينصرف ذهنها كل الانصراف عن الطمع الدائم بغيره حتى يصير ذلك فيها طبعاً وسجية يمنعانها عن الظن او التمادي فيما نظنه سوءاً واما المرأة المسلمة فانها اذا عاشرت الرجال وكان الطلاق وتعدد الزوجات على حاله المعروفة ولاسيما في مصر فان الحالة تسوء جداً وتصبح المرأة كالسلعة تنقل من بيت الى بيت ولا وطن لها ولا منزل فتكون بذلك كمن اراد بناء بيت جديد فهدم بيته القديم ثم اصبح ولا بيت له من الاثنين

لذلك يجب على كل من اراد ان يصلح حال المرأة الشرقية ويحررها من ربقة الاحتجاب المضر ان يصرف جهده اولاً الى تحديد الطلاق بحدوده الدينية الشديدة حتى يصبح كأنه ممتنع لصعوبته والا فاذا دام الطلاق على حاله الحاضرة وتم شيء من النية في تحرير المرأة فقد فسدت الحال وساء المآل فمن لنا قبل ذلك بمن يحرر الرجال قبل تحرير ربات الحجال